Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رؤية هذا المشهد . وعندما يحاول «سيكو» وهو أحد العبيد أن يهرب ، يُحكم عليه بالحرق حيا . ويُنفذ فيه الحكم ، ولكنه لا يصرخ ، بل يغنى لأن زوجته نجحت فى الهروب وهى حامل!

ومع ذلك ، فإنه لا يوجد أشد تأثيرا من «المذبوحة» التى تقمصت الشبح الشرير لتتمكن من الانتقام ، فقد استولت على المنزل وحولت والدتها سيث إلى خادمة تشعر بذنبها .

وعندما تهدد المذبوحة أخيرا بقتل سيث ، تهب ثلاثون امرأة سوداء لإنقاذها . وينتهى المشهد بأن ينشد الجميع قائلين : «فى البدء لم تكن هناك كلمات . فى البدء كان الصوت».

إن من يقرأ رواية «محبوبة» ، يجد أن تونى موريسون أحيانا تستلهم ، وأحيانا تستخدم مباشرة ، التراث الزنجى الأمريكى ، بدءا من لغة الحديث اليومى. فتكتب بالإنجليزية كما ينطقها ويستعملها الزنوج الأمريكيون، لا فى حوار الرواية فحسب، بل أيضا فى لغة السرد. كما تستخدم كذلك كل ما أبدعته القريحة الزنجية الأمريكية خاصة فى مجال الغناء : من أغانى العمل إلى أغانى المهد ، إلى الأغانى الروحية ، إلى مايسمى «بالأغانى الزرقاء» أو «الحزينة» . ويلاحظ القارىء أيضا أن الماضى والحاضر يمتزجان فى رواية «محبوبة» كما يمتزجان تماما فى نفوس أبطالها . وقد عبرت تونى موريسون عن أزمة الزنجى الأمريكى تعبيرا تعمق فى خصوصيتها حتى بلغ أعماق النفس البشرية العامة ، فأصبحت عزلة سيث وغربتها عزلة أى إنسان يعيش فى ماضيه وغربته عن حاضره ، تحت سطوة ماض يبتلع الحاضر والمستقبل معا.

● وبهذه المناسبة لنا كلمة أخيرة ، وهى أن أفضل الروايات هى التى تلجأ إلى التخصيص وتتجنب التضخيم أو التعميم. والتى تهدف ، ليس إلى التسامى بالخصائص الفطرية أو الطبيعية لشخصياتها ، بل إلى اقتحام القيود وأنواع التحيز ضد أولئك الذين يسعدهم الحظ بقراءتها.

إن «مدام بوفارى» مثلا ليست نموذجا لكل سيدة ، بل إنها مركب حىّ لمعرفة جديدة وتجربة خاصة فى حياة كل الذين التقوا بها.

وسيث أيضا ، الزنجية المعذبة فى رواية «محبوبة» ليست نموذجا لكل سيدة زنجية ، ولكنها هدية تونى موريسون إلى أولئك الذين يرغبون فى معرفتها والالتقاء بها.

□